مَوْسُوعَةُ

فَوَائِدِ القُرآن الزكِيَّة

سُورَةُ المعَارِج

أ.د خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

موسوعة فوائد

القرآن الزكية

سورة المعارج

أ.د. خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

فوائد سورة المعارج

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴿١﴾ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴿٤﴾ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ﴿٧﴾ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾

انطلق مطلع سورة المعارج بالكشف والبيان عن حال الذين سألوا عن يوم القيامة على سبيل الاستهزاء، ليأتي الجواب من الله تعالى، كافياً، وافياً، بما يعظ به العباد، ويحذرهم مما هم عليه من الكفر والتكذيب بيوم القيامة. فقال تعالى ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴾ سأل سائل، من غير تحديد ولا تسمية له ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ ﴾ وذلك تجهيلاً وتحقيراً. وليستوعب كل من سأل من أهل الكفر والتكذيب.

وكان موضع ومُرتَكَز سؤال السائل هو عن عذاب الله تعالى، الذي هو واقع بلا ريب ولا شك فيه. ودلالة سؤال ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴾ تفيد أن سؤاله هو سؤال استبعاد واستنكار ليوم القيامة، بل يجمع ويَعُم كل من سأل مستنكراً ليوم لقيامة، ومن كان مستهزئاً. فيؤكد سبحانه وتعالى للجميع بوقوعه ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴾ سأل السائل عن عذاب يوم القيامة، والذي هو واقع ﴿ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴾ مجزوم بوقوعه. مما يكشف ويبين الشأن والأمر الذي كان يواجه ويعاني منه الرسول صلى الله عليه وسلم من استبعاد المكذبين، واستهزائهم بما جاءهم من الحق.

ثم يجزم لهم سبحانه وتعالى بوقوعه حتماً، ولكن بأسلوب التخصيص للكفرة، إمعاناً في تهديدهم على استهزائهم. فقال عَزَّ وجل ﴿ لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴾ فإنه متحقق وقوعه على الكافرين ﴿ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾ ثم عضده عَزَّ وجل بامتناع دفعه عنهم بأي وسيلة وحيلة ﴿ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴾ لا وقاية لهم من عذاب ذلك اليوم حين وقوعه. لإفادة التحقق الذي لا مفر لهم منه، وأنه لا وسيلة يمكنهم بها الوقاية من عذاب ذلك اليوم حين وقوعه. مما يفيد امتناع الحيلة والْمَفَر من توقيه. فإنه حدث جلل واقع عليهم لا محالة.

ثم تدرج البيان الكريم إلى إيضاح مصدره، الذي يؤكد أنه لا مَرَدَّ له. فقال تعالى ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴾ إنه من الله سبحانه وتعال، القوي العزيز ﴿ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴾ أي: صاحب العلو والعزة. قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: ذي العلو، والدرجات، والفواضل، والنِّعَم[١] وقال مجاهد رحمه الله تعالى: هي معارج الملائكة، وقال ابن قتيبة رحمه الله تعالى: وأصل المعارج: الدرج، وهي من عَرَجَ: إذا صعد. وقال الفراء رحمه الله تعالى: لما كانت الملائكة تعرج إليه، وصف نفسه سبحانه وتعالى بذلك. وقال الخطابي رحمه الله تعالى: المعارج: الدَّرَج، واحدها: مَعْرَج، وهو الْمَصْعَد، فهو الذي يُصعَدُ إليه بأعمال العباد، وبأرواح المؤمنين. فالمعارج: الطرائق، أي: يُصْعَدُ فيها[٢] فشملت واستوعبت دلالتها جميع ما هو لله تعالى من العلو والعزة والرفعة والفضل، وما ينزل من عنده سبحانه وتعالى، وما يقضي به عَزَّ وجل، وما يرتفع إليه ويصعد من الملائكة، وأعمال العباد، وأرواح المؤمنين. وهذا من بلاغة القرآن الكريم في إعجاز دلالات ألفاظه المستوعبة لكمال مراده جَلَّ جلاله، والمتناسقة والمتوافقة مع إعجاز تدبيره جَلَّ شأنه وعظم سلطانه.

ثم ينتقل السياق إلى بيان عظيم منزلته تبارك وتعالى، وعلوه، وعظمة المسافة والزمن بين مقامه جَلَّ في علاه، وبين عباده في الأرض، وعظمة كل ذلك من الخلق والبيان. فقال تبارك وتعالى ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ فربكم الذي تعرج الملائكة صاعدة إليه، وكذلك الأرواح في يوم مقدار مسافته مسيرة خمسين ألف سنة، ولكن بقوة تدبيره جَلَّ جلاله لا يستغرق ذلك الزمن، بل في لحظة خاطفة.

وقد أورد البيان الكريم حالة العروج بصيغة الفعل المضارع المستمر ﴿ تَعْرُجُ ﴾ ليفيد الاستمرار، وعدم الانقطاع. وخص بالذكر الملائكة، والروح ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ والملائكة هم من

---

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٣/٢٥٠)

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٨/٩٠)

يكلفهم الله تعالى بالمهام التي يؤدونها، ويقومون بها. ثم عطف عليها الروح. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: قلت: ويحتمل أن يكون المراد به جبريل. ويكون من باب عطف الخاص على العام. ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بني آدم، فإنها إذا قُبِضَت يُصعَد بها إلى السماء(١) وأفادت دلالة ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: إلى الله تعالى، فهو المرجع لكل شيء سبحانه وتعالى. مما يبين جلالة وقوة عظمته سبحانه وتعالى، والتي تُوجب الإيمان بيوم القامة، وبكل ما جاء عن الله تعالى.

ومن عظيم رفعته سبحانه وتعالى، وعظيم خلقه أن المسافة ما بين الأرض والعرش هي مسيرة ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يعني أن هذا في الصعود الطبيعي فيما لو صعد من يصعد إلى السماء. قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: أنه مقدار صعود الملائكة من أسفل الأرض إلى العرش، لو صعده غيرهم، قطعه في خمسين ألف سنة، وهذا معنى قول مجاهد(٢) رحمه الله تعالى. مما يبين عظمة خلق الله تعالى، وعزته، وعظيم سلطانه، ومع ذلك لا يستغرق ذلك الزمن بفضل قدرته جَلَّ في علاه. مما يُوجب التصديق بالغيب كله، ومنه الإيمان بيوم القيامة، وما يتبعه من البعث والحساب والجزاء، والجنة والنار.

ولما أن هذا السؤال من الجاحدين عن يوم م القيامة للرسول صلى الله عليه وسلم، وأنه من باب الاستهزاء والسخرية، فإن الله تعالى يوجه رسوله عليه الصلاة والسلام بالصبر ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ فيا أيها الرسول صلى الله عليه وسلم عليك بلزوم الصبر على قومك، فيما تواجه منهم، من التعنت والسخرية. ثم وصف تبارك وتعالى نوع هذا الصبر بأن يكون ﴿صَبْرًا جَمِيلًا﴾ وهو الصبر الذي لا جزع فيه، ولا شكوى إلا لله تعالى.

والصبر: نقيض الجزع، وهو حبس النفس عن الجزع. وأما التصبر فهو: تكلف الصبر(٣) وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى: هو خُلُق فاضل، من أخلاق النفس. يمتنع به من فعل ما لا يَحْسُن، ولا يَجْمُل. وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها(٤) مما يفيد ويُعَلِّم المؤمن أن عليه مواجهة الصعاب بالصبر، ومقابلة ما يحدث من غيره له بالروية والصبر، المتضمنة للحكمة، والبعد عن الغضب، الذي يبدد العلاقات، ويصرم ويعطل الأهداف. فإن الصبر خُلُق يتعايش به الحكيم مع غيره. ويسأل الله تعالى العون

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤/٤٤٦)

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٨/٩٠)

(٣) ابن منظور، لسان العرب (٤/٤٣٨-٤٣٩)

(٤) ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين، ص (١٦)

والتوفيق والسداد، فهو خير مُعين على الحق والخير والصبر. كما يبين هذا أهمية الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم، من خلال سيرته العطرة.

ثم يخبر الله تعالى بالفرق بين رؤية الكفرة باستعجالهم ليوم القيامة، وبين رؤية الله تعالى لذلك اليوم، فيقول عَزَّ وجل ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴾ فإن حال هؤلاء الكافرين مع يوم القيامة، أنهم يستبعدون وقوعه، فيقعون في الاستعجال. فيقولون متى هو؟ ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ والذي ورد في مطلع السورة الكريمة. فإن تلك هي رؤيتهم القاصرة، والتي تتطلب صبرك عليهم. ولكن لحلم الله تعالى فإنه لا يستعجل عليهم بما يستعجلونه. فقال جَلَّ جلال ﴿ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴾ فإن الله تعالى يرى هذا اليوم قريباً، أي: أنه في تقديره عَزَّ وجل وعلمه أنه قريب، وذلك لحلمه، وعظيم معرفته، بقصر الدنيا، ونهايتها. وبما يُعَلِّم الناس عموماً: أن الدنيا قصيرة، وأن يوم القيامة قريب مع قصر هذه الدنيا، مما يشاهده الإنسان من أعمار العباد.

ثم يصف سبحانه وتعالى أهوال يوم القيامة، فيقول جَلَّ شأنه عن حال السماء في ذلك اليوم ﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴾ أي: تكون السماء في ذلك اليوم كالرصاص المذاب، والزيت العكر، الشديد الحرارة. قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما أُذِيب من الرصاص والنحاس والفضة[١] وقال السعدي رحمه الله تعالى: وهو الرصاص المذاب من تشققها، وبلوغ الهول منها كل مبلغ[٢] بما يفيد تغير حال السماء، فيصبح حالها لناظرها كالزيت المتعكر. إذ أن الْمُهل، هو ما أُذيب من مكونات الأرض بالنار، كالحديد والرصاص والنحاس، والسوائل الثقيلة كالزيت العكر.

وأما الجبال فقال تعالى عنها ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴾ أي: كالصوف، فإن الجبال مع قوتها وشموخها، فإن حالها في ضعفها ولينها، وخفتها وسيرها، يكون كالصوف من هشاشتها. وأما هول يوم القيام بالنسبة للإنسان، فهو ذهول عظيم من شدة ما يرون، إلى حد أنه ﴿ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴾ فلا يسأل القريب أحداً عن قرابته، ولا يكلمه من شدة هول ما يراه من فظائع يوم القيامة التي أذهلته وأشغلت عقله وفكره. بما يفيد شدة الخوف والفزع الذي تُصاب به القلوب. ونسأل الله تعالى السلامة.

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٨/١٨٥)

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٥/٣٠٥)

بل يبصر ويشاهد الحميم حميمه، أي: القريب قريبه، ولكن الهول أعظم من أن يخاطبه. يقول تبارك وتعالى ﴿يُبَصَّرُونَهُمْۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴾ يشاهد ويُبْصِرُ كل حميم حميمه، من قرابته، حيث لا يخفى منهم أحد على أحد ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ﴾ يرونهم ويشاهدونهم، ولكن لا يكلم بعضهم بغضاً، ولا يسأل بعضهم بعضاً، لانشغال كل واحد منهم بنفسه عن غيره. ومن دقة البيان أن أورد الله تعالى الإبصار بصيغة الفعل الذي لم يُذكر فاعله ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ﴾ أي: بقدرة الله تعالى يجعلهم يرون أقاربهم فرداً فرداً من بين عظيم الحشود والجمع الكبير للناس جميعاً. فعن ابن عباس رضي الله عنهما: يُعَرَّف بعضهم بعضاً، ويتعارفون بينهم، ثم يفر بعضهم من بعض. وقال قتادة رحمه الله تعالى: يُعَرَّفُونَهم، يُعَلَّمُون، والله لَيُعَرَّفَنَّ قومٌ قوماً، وأُنَاسٌ أُناساً[١] يُعَرَّف الحميم بحميمه، ولكنه لا يسأله، ولا يكلمه، لانشغال كل واحد منهم بنفسه. مما يبين ويُظهر شدة الهول الذي يرونه أمامهم.

وفي ذلك الوقت ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴾ فيتمنى الكافر لو يدفع عن نفسه العذاب بأبنائه جميعاً، حتى يتخلص من العذاب، بل ويجمع معهم زوجته ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ ﴾ وهي الزوجة التي لازمته في حياته. بل يجمع معهم حتى إخوته، فقال تعالى عن حاله في الافتداء ﴿وَأَخِيهِ ﴾ الذي هو من أمه وأبيه، بل ويرتقي إلى جميع أقاربه ﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴾ أي: قبيلته ﴿ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴾ التي تحميه، وتضمه إليها في النوائب، بل ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴾ أي: يتمنى ويود لو أنه يفدي نفسه بجميع أهل الأرض ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ ﴾ فينجو بذلك الفداء، لهول وعظمة ما يرى من العذاب المشتعل ناراً تتلظى. مما يبين شدة ما يواجه ويقابل الكافر من العذاب، فيود ويطمع في أن لو يفتدي بجميع المذكورين لينجو من عذاب الله تعالى ذلك اليوم.

وفي ترتيب من يفتدي بهم ما يبين ويكشف عظمة الهول. فبدأ بالبنين، الذين هم جزء وفروع منه، وأحب الناس إليه. ثم زوجته ورفيقته التي كانت في الدنيا مصاحبة له على القليل والكثير، وهي التي لا يفترق عنها، ولا تفترق عنه، ثم الإخوة الذين اجتمع بهم في الأمومة والأبوة، ثم بجميع الأقارب من قبيلته، ثم بجميع من في الأرض كلهم أجمعين. فلو كان الأمر إليه لقدم ذلك من أجل نجاته. فإنه وصف للحقيقة التي ستكون قبل أن تكون. لِيُحَذِّر اللهُ تعالى بهذا البيان جميع العباد. وأن عليهم بدين الله تعالى الذي أنزله على رسوله محمد

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٣/٢٥٧-٢٥٨)

صلى الله عليه وسلم، فإن النجاة في اتباع الرسول المنذر للناس، والمبشر للمطيعين بالنجاة من ذلك اليوم، وما بعده من دخول المؤمنين الجنة، ودخول الكافرين النار.

ثم يخبر الله تعالى بأوصاف النار وشدتها، ليردع المجرم عن كفره وجحوده للحق وإنكاره، فيقول عَزَّ وجل ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ فبدأ البيان بدلالة ﴿كَلَّآ﴾ التي أفادت: النفي والاعتراض والإبطال لتحقق الأمنيات، فإن الأمر ليس فيه فداء، وليس الأمر كما تتمناه أيها الكافر، بل ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ أي: فإنها تتلظى، أي: تتلهب اشتعالاً وتوقداً. وأيضاً ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ أي: أنها تنزع الجلد واللحم الذي اشتوى باحتراقه. بل ورد نزعها للشوى بصيغة المبالغة ﴿نَزَّاعَةً﴾ فليس الأمر إزالة، بل نزع. وهو أخذ الشيء اقتلاعاً وبقوة مفرطة. فتنزع مكارم الوجه وهيئته بعد أن حصل له الاشتواء بالحرق للجلد واللحم.

كما أنها ﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ أي: أن النار تدعو وتطلب من أدبر وتولى في الدنيا عن الحق الذي جاء من الله تعالى لعباده من خلال المرسلين، وخاتمتهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. فتطلبهم للحرق المتتالي. وكذلك لمن ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ أي: جمع المال ﴿فَأَوْعَىٰٓ﴾ أي: جعله في وعاء، ولم يؤد حق الله تعالى فيه من الزكاة، وغيرها من النفقات الواجبة والمستحبة.

وهذا البيان من الله تعالى عن حقيقة عذاب المكذبين المنكرين الكافرين يُعطي ويفيد التحذير لهم، بأن عليهم لزوم الطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم. بل إن هذا البيان يؤكد رحمته عَزَّ وجل بالعباد، لأن الحريص على المصالح هو الرحيم، إذ يدعوهم إلى الحق والنجاة من العذاب، ويحذرهم من خلال كشف حقائق يوم القيامة وكأنهم يرونها ويعيشونها. ونسأل الله تعالى لنا وللمسلمين العافية في الدنيا والآخرة.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾
ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ
يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ
لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ
صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

بعد تحذير الله تعالى للسائلين المستهزئين بيوم القيامة، ينتقل التوجيه الكريم إلى بيان الطبائع البشرية، وعلاجها الذي يضبطها حتى يجعلها في مسارها الذي يحقق لها الفوز والنجاح والنجاة في الدنيا والآخرة. فقال سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ أي: أن الله تعالى قد جعل في طبيعة الإنسان أنه ﴿ هَلُوعًا ﴾ أي: يجمع بين شدة الجزع عند المصيبة، وبين شدة الحرص والشح عند كثرة النعمة. وقد أوضح الله تبارك وتعالى هذا الْخُلُق وعلاجه بما شرحه وبينه عَزَّ وجل في الآيات التي تلتها فيما بعد.

فقال سبحانه وتعالى في تفسيره لأوصاف الشخص الهلوع: أنه ﴿ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴾ إذا أصابه شيءٌ من الشدائد، كالفقر، أو المرض، أو أي نوع من أنواع الضر، فإنه شديد الجزع. أي: لا يصبر ولا يحتسب. ومن أوصافه كذلك، أنه ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ أي: إذا أصابه من الله تعالى أي نوع من الخير، كالرزق وغيره من الإنعام فإنه يتحوط عليه، ويمنعه عن غيره، فيمنع حق الله تعالى فيه؛ من الزكاة والنفقة، وإعانة المحتاج والمسكين. نتيجة الطمع وشدة وقوة حبه للخير، مع الاستئثار به لنفسه.

ومن دقائق البيان الكريم أن جَمَعَ السياق جميع الأوصاف الرديئة في كلمة واحدة، وهي الجزع ﴿ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴾ بل وردت بصيغة المبالغة، التي تعني وتفيد بلوغها في تصرفاته وهيئته إلى أقصى درجات الجزع، المنافي للصبر. فإذا مسه الشر ظهر منه شدة الجزع المنافي للصبر، وإن كان في خير منع الخير عن غيره، وتكتم عليه. وقد أعطى حرف ﴿ إِذَا ﴾ حالت الانتقال والتغير من حال إلى حال، أي: من حال الخير إلى حال الشر ﴿ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴾. كما جمعت دلالة ﴿ ٱلشَّرُّ ﴾ جميع مفرداته وأنواعه، فهو كل ما لا يحبه الإنسان ويكرهه. كما أعطت دلالة المس ﴿ إِذَا مَسَّهُ ﴾ الملاصقة له، أي: ملاصقة ما يكره من الشر لنفسه.

وأفادت مفردات قوله تعالى ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ المبالغة في قوة المنع التي وصلت إلى أقصى غاياتها ورُتَبها من حالات المنع. وكذلك أفاد حرف ﴿ وَإِذَا ﴾ مع ما بعده من البيان: حالت الانتقال والتغير من حال إلى حال، أي: من حال البؤس إلى حال الخير والتنعم. فإنه لم ينتفع بما كان فيه من قبل ذلك، من الحاجة والفاقة، فيعرف به حال من هو مصاب بما كان فيه من الحاجة، فيظهر في تعامله وكأنه ما مسه الضر من قبل. كما أفاد المس ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ﴾ قوة الخير الذي يلامس ويلاصق حياته، فيظهر عليه في معيشته، وفي عموم حياته. كما أفادت دلالة الخير ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ ﴾ جميع أنواع الخير ومفرداته التي لا يحصي مجالاتها وأنواعها الإنسان، كالمال، والمنزل، والمنزلة، والصحة والعافية، وغيرها من مفردات الخير. وهذا

من دقة وقوة السياق الكريم، باستيفائه لجميع المراد بكل دقة بيانية، وإيجاز بلاغي، لتظهر بلاغة الإعجاز البياني، كما ظهر الإعجاز في تحليل شخصية الإنسان وتصرفاته. والتي تؤكد أنه كلام الخبير العليم سبحانه وتعالى. الذي وعد بيوم القيامة، وأن وعده حق لا ريب ولا شك فيه.

مما يبين للإنسان أهمية الانتباه لهذه الخصال، وهذه الحالات التي علاجها فيما ذكره الله تعالى بالاستثناء. فقد استثنى البيان الرباني من حالة الهلوع المتصفين من عباده بسبع صفات. وأولها وتاجها: المحافظين على الصلاة. فقال تعالى ﴿ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴾ أي: إلا المتصفين بأداء وضبط عبادة الصلاة. فقد استثناهم سبحانه وتعالى من سمات الهلوع بأداة الاستثناء ﴿ إِلَّا ﴾ التي أفادت خروجهم من طبيعة ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ وسماهم بالمصلين ﴿ ٱلْمُصَلِّينَ ﴾ بما يفيد ملازمتهم للصلاة، حتى أصبحت الصلاة صفة وسمة لهم، لا يُفارقونها ولا يتركون شيئاً منها أبداً. بل أكد صفة أداؤهم لها بقوله عَزَّ وجل ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾ أي: مداومون، محافظون على الصلاة. فقد أفادت دلالة ﴿ دَآئِمُونَ ﴾ صفة المداومة التي يمتنع بها الانقطاع. وإثبات الاستمرار. وليشمل ذلك جميع ما تستوجب من الطهارة والوضوء، وحفظ أوقاتها، وأدائها بأركانها وواجباتها وشروطها. فأصبحت الصلاة بالنسبة لهم موطناً رئيساً لا يفرقونها أبداً، في حلهم وفي ترحالهم.

وفي البدء بالصلاة مِن بين جميع العبادات ما يبين ويدل على أن الصلاة هي رأس العبادات. وقد وردت الأحاديث النبوية الكريمة الكثيرة عن الصلاة ووجوبها، وأنها أول ما يُحاسب عليه العبد. بل إنها دليل على إيمان من متصف بالمداومة عليها. فأغنى ذكر المحافظة عليها عن ذكر الإيمان. لأن الصلاة كما قال الله تعالى عنها في سورة العنكبوت ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ فإن في إقامة الصلاة وفق ما ورد الأمر بها ﴿ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ ﴾ وهو ما قَبُح من الأفعال والأقوال، وكذلك تنهى عن ﴿ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ وهو كل ما أنكرته شرائع الله تعالى، والفطرة السليمة، والعقول الصحيحة. مما يفيد أن من فوائد إقامة الصلاة وفق ما شرع الله تعالى، وما قام به صلى الله عليه وسلم، فإنها تغرس في المؤمن التقوى التي تجعله يدرك الفواحش والمنكرات فيبتعد عنها، ولا تستهوي نفسه لشيء منها، لخوفه من الله تعالى، ورغبته في رضا الله عَزَّ وجل، والفوز بما وعد به عباده الصالحين. فإن الصلاة تُحَسِّن له الحسن فيعمله، وتُقَبِّح له القبيح من الفواحش والمنكر، فيكره فعله.

والصفة الثانية التي تمنع الإنسان عن الهلع هو قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾ أي: أن في أموالهم ﴿ حَقٌّ ﴾ أي: نصيب ﴿ مَّعْلُومٌ ﴾ أي: مُقَدَّر بقدر محدد، فلا يُنقصون منه شيئاً، ليشمل

الزكاة وغيرها من الصدقات وأنواع النفقات. فقد أوجبوا ذلك على أنفسهم بما أمر الله تعالى به. وأن موطن ومكان الإعطاء هو ﴿ لِّلسَّآئِلِ ﴾ لمن يسأل العون والمساعدة، وكذلك لمن فقد المال، وهو ﴿ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ أي: الفقير والمسكين الذي حُرِم من كفايته، وكذلك المتعفف الذي لا يسأل ولا يُشْعِر غيره بحاجته وعوزه، وتشمل دلالة المحروم كذلك كل مَن أُصيب بمصيبة في ماله، فاحتاج إلى معونة غيره له. ليشمل بذلك الحق المعلوم: زكاة الأموال، والنفقة، وعموم الصدقات، والصلة والبر، وعموم الإحسان للغير. وفي قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾ ما يفيد أنهم لم يستأثروا بالرزق، بل أوجبوا على أنفسهم ما أوجبه الله تعالى عليهم في أموالهم، فاستقطعوا منه ما يَصِلُون به غيرهم من عموم المحتاجين.

والصفة الثالثة: التي تُخرج الإنسان من صفة الهلوع هو ما تضمنه قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ أي: الذين يؤمنون بالساعة. فإنهم مؤمنون ومصدقون وموقنون بيوم القيامة، أي: بالبعث، والنشور والحساب والجزاء. والجنة والنار. فيقرون بذلك، ويعملون لذلك اليوم بالطاعة والامتثال لله تعال، رجاء الفوز في ذلك اليوم بالجنة، وأن يُبعدهم ويقيهم ربهم عذاب النار. وقد سماه الله تعالى ﴿ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ لأنه في ذلك اليوم يُدين اللهُ تعالى الخلائق بأعمالهم، فكل نفس مُدانة بما كسبت من الخير والشر. فتُحاسَب وتجازى بذلك. إلا بعفو منه عَزَّ وجل. بما يفيد العدل في الحكم من الله تعالى لعباده أجمعين.

والصفة الرابعة: التي تُخرج الإنسان من صفة الهلوع مع ما سبق هو ما تضمنه قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ فإنهم من عذاب ربهم عَزَّ وجل خائفون، وجلون من أن يعذبهم في الآخرة، فيدفعهم ذلك إلى الجدة في الطاعة لربهم سبحانه وتعالى. وهو الخوف المختلط بالتعظيم والمهابة لربهم جَلَّ جلاله. فإنهم في خشية وخوف. فجمعوا بين الخوف والرجاء. فالشفقة هي العناية المختلطة بالخوف والرجاء، وذلك من خوفهم أن يكونوا مقصرين، فيخشون عقاب ربهم، فحصل لهم الخوف المختلط بالرجاء، وهو الإشفاق. فقد جمعت دلالة الإشفاق ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ الخضوع، مع الخوف والتذلل. فإنهم خاضعون، خائفون، متذللون لربهم عَزَّ وجل، وراجون لرحمته سبحانه وتعالى. بما يفيد اختلاط الحذر عندهم مع مخالطة الخوف الذي يدفع إلى المزيد من بذل الجهد في الطاعة والانقياد لله تعالى. ليدل على كمال الذل والطاعة والخوف من الله تعالى.

فالإشفاق هو الخشية، التي تجمع بين رجاء ما عند الله تعالى من كريم العطاء، وبين مخافتهم من الله تعالى، أي: الجمع بين مخافتهم من الله تعالى، ورجائهم في الله تعالى، فابتعدوا عن مواطن ما يُغضب الله عَزَّ وجل. مما يدل على عمق دلالة الخشية والشفقة. فإن الخوف الناتج من الشفقة يجعل الرهبة من الله تعالى تخالط

قلوبهم، فيمتنعون بها عن معصية الله تعالى، ويستعيذون به منها، ومن خزي الدنيا والآخرة. مما يبين أهمية الخشية من الله تعالى، وأهمية الأمل في الله تعالى، وفي خيره وبره وكريم عطائه عَزَّ وجل، وأن يعيش المؤمن راغباً غير قانط في خير الله تعالى ورحمته، ومتباعداً عن اليأس من رحمة الله تعالى، ويكون خائفاً من أن يعصي الله تعالى فتحل عليه نقمته وانتقامه ومعاقبته له عَزَّ في علاه.

وقد استهلت الآية الكريمة وصفهم بالاسم الموصول ﴿ وَٱلَّذِينَ ﴾ ثم باسم الإشارة ﴿ هُم ﴾ الذي أفاد دلالة الحصر، بأنهم هم وليس غيرهم من المخالفين لهم، أولئك المغرورون الذين لا يخافون عذاب الله تعالى. ولتعطي دلالة التوكيد والاهتمام بما اتصفوا به من صفة الإشفاق. وأما السبب فهو الخشية ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ يخشون ربهم، وهو الخوف المختلط بالتعظيم والمهابة لربهم، ولِحَقِّه سبحانه وتعالى في كمال الطاعة. فدلالة الخشية من عذاب ربهم هو بسبب حالتهم الإيمانية أنهم ﴿ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ التي تفيد تألم القلب خوفاً من التقصير عن كمال الطاعة، فيلحقهم ﴿ عَذَابِ رَبِّهِم ﴾ وذلك خوفاً من عذابه عَزَّ وجل، هيبة وإجلالاً لمقامه العظيم تبارك وتعالى. وهذا الإشفاق من الخوف أكسبهم العناية بالطاعة المختلطة بخوف، وهي صرف الهمة وتوجيه الإرادة إلى زياد الطاعة. مما يدل على مسارعتهم في الطاعة، لأن إشفاقهم على أنفسهم هو نتيجة الخوف والوجل من عذاب الله تعالى، فإن ذلك يجعلهم يسارعون في الطاعات، والبعد عن المعصية. بعكس أولئك المغرورون الذين يحسبون أن ما يصيبهم من الخير هو مسارعة لهم في الجزاء، بكريم العطاء.

فبالرغم من أنهم من عذاب ربهم مشفقون، فإن الله تعالى يؤكد ويقرر ما سبق مما هم عليه. فيقول تبارك وتعالى ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ فلا أحد في مأمن وحرز من عذاب الله تعالى. بما يفيد أنه يجب على كل أحد من عباده أن يكون في خوف ووجل من ربه سبحانه. فإن في هذا التقرير ما يجعل العبد في حالة دائمة من مراقبة أعماله وتصرفاته، خوفاً من أن يناله عذاب ربه عَزَّ وجل. لأن من أمن العقوبة استرسل في الشر. مما يبين عظيم منهج الله تعالى في ضبط عباد المؤمنين. ليكون ذلك كالسياج لهم أينما كانوا، وأينما حلوا وارتحلوا. فهي صفة ملازمة لعباده المؤمنين.

والصفة الخامسة: التي تُخرج الإنسان من صفة الهلوع هو ما تضمنه قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴾ أي: ممسكون لفروجهم بالعفاف. فَحَفِظُوا فروجهم عن غير ما أحله الله تعالى لهم، وبالتالي حفظوها من الوقوع في الحرام. والحفظ يدل على الوقاية والتحرز. فلا يقعون فيما حرمه الله تعالى من الزنا ونحوه. مما يفيد توقيهم لدواعي وأسباب الزنا، وجميع المحرمات المتعلقة بالفروج، حتى لا يقع فيها المؤمن.

وتعطي دلالة كلمة ﴿ حَـٰفِظُونَ ﴾ التوقي، الذي هو الحذر بالوقاية والحفظ من الوقوع في الفروج المحرمة، فجاء الوصف لحفظ فروجهم عن الزنا بالوقاية من مثيراته ودواعيه أصلاً، بما يدل على أنهم تخطوا وتجاوزوا الوقوع فيه إلى الحذر، بتوقي أسباب تحصيله، فلا يتعرضون أصلاً بأنفسهم لدواعيه، مما يفيد قوة الحذر وشدته عند هؤلاء المؤمنين المتصفون بصفة الحفظ. فقد حفظوا فروجهم عن دواعي الوقوع فيه. باستثناء من استثناهم الله تبارك وتعالى، فقال عزَّ وجل ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ إلا من أزواجهم اللائي أحلَّهُن الله للرجال بالنكاح، فلا يجب عليهم التحفظ من زوجاتهم؛ وما ملكة يمينهم من الإيماء، فإنهم مستثنون من حفظ الفروج على أزواجهم، وعلى ما يملكون من الإيماء. فلا لوم عليهم معهن، لأن الله تعالى جعلهم حلالاً. فمن صفات هؤلاء المؤمنين الذي ينالهم التوقي من صفة الهلوع أنهم ممسكين فروجهم عن غير زوجاتهم وما ملكة أيمانهم. مما يبين حفظ الإسلام للأعراض، والأنساب، وغرس التواد، لأن استباحة الفروج المحرمة يثير العداوة والبغضاء، وربما أدى إلى سفك الدماء بسببها. بما يفيد أن مقصد شهوة الفروج الفطرية ليس لإشباعها بالعبث في الأعراض، بل لتحصيل النسل، وإعفاف الفروج بما أحله الله تعالى. فهو دين نظام، وحفظ لحياة الناس من لوثة الزنا، وما يترتب عليها من المفاسد العظيمة. وقد وردت الإباحة للأزواج وما ملكة الأيمان من الإيماء بقوله تعالى ﴿ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ والتي أفادت: تعليل الإباحة وتوكيدها بأنهم غير مؤاخذين بما أذن الله تعالى لهم فيه، وأباحه لهم، فلا يُلامون على ذلك.

ثم يذكر سبحانه وتعالى من تجاوز الحلال إلى الحرام، فقال عزَّ وجل ﴿ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾ فمن طلب والتمس غير الذي أحله الله تعالى له من الأزواج وما ملكة اليمين من الإيماء ﴿ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾ فإن هؤلاء قد تجاوزوا النهي، وتعدوا ما أحل الله تعالى إلى ما لا يحل لهم من الحرام ﴿ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾ فهؤلاء هم الظالمون الجائرون المتجاوزون لحدود الله تعالى، فقد تناهوا وتكامل فيهم التعدي والجرأة على ما حرم الله عزَّ وجل، وذلك بمجاوزة الحد من الحلال إلى الحرام. وفي هذا غاية النهي والتحذير والبيان بأن مجاوزة الحلال إلى الحرام هو اعتداء على ما حَرَّم اللهُ تبارك وتعالى، وأنه منافي للإيمان، وتحقيق الفلاح. مما يتوجب على المؤمن والمؤمنة صيانة فروجهم عن الحرام، والابتعاد عن دواعي ذلك، وعن جميع أسباب الوقوع فيما حرم الله تبارك وتعالى. وبالتالي يحرم على المؤمن والمؤمنة التعرض لما يُوقع في الحرام. أو أن يستثير غيره، ويثير غريزته للوقوع في الزنا.

والصفة السادسة: التي هي من لوازم خُروج الإنسان من صفة الهلوع هو ما تضمنه قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ أي: وهم الذين لِمَا ائتمنوا عليه من الأمانات محافظون عليها، وقد

وردت الأمانات بصيغة العموم، لتشمل ما بين العبد وربه من التكاليف، وكذلك التي بين العبد وغيره من الناس، فهو محافظ عليها. وكذلك محافظ على ما أوكل إليه من المواثيق والعقود، فلا ينقضها. وسواء ما كان مع ربه تبارك وتعالى أو مع جنسه من العباد. ودلالة كلمة ﴿ رَٰعُونَ ﴾ تفيد مراعاتها ورعايتها بالحفظ والصون من النقض، والبخس، والتلاعب، والإجحاف، واستغلال المتغيرات. فتجد المؤمن الذي تطهر من صفة الهلوع أنه محافظ على لأمانات والعهود، والوعود، والمواعيد التي يَعِدُ بها غيره.

والصفة السابعة: التي هي من لوازم خُروج الإنسان من صفة الهلوع هو ما تضمنه قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴾ أي: يؤدون ما استُشْهِدُوا عليه من الشهادات على أكمل وجه، من غير نقص ولا زيادة فيها. فيقيمونها بالحق، ولا يكتمون شيئاً منها أبداً.

والصفة والشرط الأخير: هو تأكيد للشرط الأول، المتعلق بالصلاة، والتي هي من لوازم خُروج الإنسان من صفة الهلوع. فقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ أي: يواظبون على أدائها، ويحافظون على القيام بها خير قيام، فلا يُخِلُّون بشيء من حقوق الصلاة. ويكون حفظ الصلاة بكمال أدائها، من حيث أوقاتها، وجميع شروطها وأركانها وواجباتها.

ثم بعد هذا التوصيف العظيم لِمَن سَلَّمَهُ اللهُ تعالى من الهلوع، يذكر تبارك وتعالى فوزهم ومغنمهم عند ربهم في الآخرة. فقال جَلَّ جلاله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ أولئك المتصفون القائمون بتلك الصفات يكونون في الآخرة ﴿ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ أي: يدخلهم الله تعالى في الآخرة جنات من البساتين العظيمة، التي تجري من بين أشجارها الأنهار المتدفقة. وكذلك فإنهم ﴿ مُّكْرَمُونَ ﴾ أي: فهم مخدومون، لا يخدمون أنفسهم. فتنالهم الحفاوة والعناية، وكريم الإقامة الدائمة التي لا تنقطع. بما في الجنة من الخدم الذين يخدمونهم، والمساكن الطيبة التي لا يَمَلُّون منها، بل يسعدون بها سعادة لا تنقطع ولا تنتهي. فقد جمعت دلالة ﴿ مُّكْرَمُونَ ﴾ معاني الإكرام بجميع مفرداته وأصنافه وأوصافه وأحواله، ودلالاته التي لا حصر لها، بما تطيب وتفرح به النفوس وتبتهج، وهو إكرام عزيز، وإقامة دائمة لا تنقطع. لأنها جنات استقرار وثبات.

وقد بدأ البيان الكريم باسم الإشارة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الذي أفاد التعظيم والإشادة لهم. كما وردت الجنات بصيغة الجمع ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ ليدل على كثرتها، وتنوع بساتينها، ومحتوياتها. كما أفادت دلالة ﴿ مُّكْرَمُونَ ﴾ على الكثرة من وجهين: أحدها: لأهل الجنة، والثاني: لكثرة الكرم الذي يكون لهم في الجنة.

﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ﴿٣٨﴾ كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

ينتقل بيان سورة المعارج الكريم إلى إيضاح وكشف حال المشركين، وموقفهم من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم. فقال عِزَّ وجل ﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ﴾ سؤال تعجب من هؤلاء الكفرة المكذبين الْمُقْبِلِين على الرسول صلى الله عليه وسلم، وهم متطاولون بأعناقهم المتطلعة إليه عليه الصلاة والسلام، بما يفيد قوة تتبعهم لشأن الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك بمداومة النظر إليك أيها الرسول عليه الصلاة والسلام. فهو سؤال استفهام تعجبي من حالهم، وإنكار لتصرفاتهم التي تدل على عظيم جهلهم وتماديهم في الاستكبار والحسد، الذي جعل تصرفاتهم مع الرسول عليه الصلاة والسلام بهذا الحال.

فما الذي يجعلهم يُقْبِلُون عليك، ويدركون الحق منك بالأدلة والحجج والبراهين، ثم بعد ذلك يفرون عنك، وعن الحق الذي معك، فدلالة قوله تعالى ﴿ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ﴾ أي: تفيد جهة الاتجاه، أنه للرسول صلى الله عليه وسلم، مع السرعة. فأعطت دلالة ﴿ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ﴾ الإسراع نحو الرسول صلى الله عليه وسلم، فهم مسرعين ومشدودي النظر، مع المداومة على ذلك، من غير أن يطرف أحدهم بعينه. والإهطاع أن تُقبل ببصرك على المرئي، تديم النظر إليه، لا تطرف[1] وقال ابن جرير رحمه الله تعالى: وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة، يقول: معناه مُشْرِعِين. وقيل منطلقين[2] وقال الزمخشري رحمه الله تعالى: مسرعين نحوك، مادي أعناقهم إليك، مقبلين بأبصارهم عليك[3] ولكن هذا الإقبال هو إقبال يحمل الاستنكار، ويحمل دلالة عدم الرغبة فيما جاءهم من الحق. لأنه تعجب من حالهم ﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ﴾ فما الذي يجعل هؤلاء الكفرة المكذبين الْمُقْبِلِين على الرسول صلى الله عليه وسلم لا يؤمنون، لإفادة صدودهم بعد الاستماع، وشد أبصارهم إليه عليه الصلاة والسلام. مما يفيد أن مسارعتهم، وانشداد أبصارهم إليه صلى الله عليه وسلم إثبات انبهارهم بما سمعوا، وأنهم أيقنوا في نفوسهم أنه رسول من عند الله تعالى، وأن الذي معه هو الحق بعينه،

---

(١) الزمخشري، الكشاف (٥٥١/٢)

(٢) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٧٨/٢٣)

(٣) الزمخشري، الكشاف (٦١٤/٤)

ولكن الحسد والاستكبار يصدان عن الحق. كما قال الله تعالى في سورة الأنعام ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ وكما قال تعالى في سورة النمل ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ مما يفيد وجوب الاستسلام لله تعالى وللحجج والبراهين التي أنزلها الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، والتي منها القرآن العظيم، والتجرد من الحسد والكبرياء، فإنه يمنع صاحبه من الإذعان للحق، فينحرم من الخير.

ثم أضاف تبارك وتعالى المزيد من دقة الوصف لهم. فقال عَزَّ وجل ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴾ فهم على هيئة جماعات، وحِلَق حولك أيها الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن من كثرة تجمعهم أنهم يجلسون عن يمينك وشمالك أيها الرسول صلى الله عليه وسلم. بما يفيد كثرة الإقبال، والاستماع، إلا أنهم معرضين، فلم ينتفعوا بما سمعوا، لقوة ما في قلوبهم من الحسد والكبرياء. ومعنى ﴿عِزِينَ﴾ كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: الْعِزِين: الْعُصَبُ من الناس، عن يمين وشمال، معرضين عنه، يستهزئون به. وقال قتادة رحمه الله تعالى: العِزين الْحِلَق، المجالس[1] أي: هي المجموعات، والجماعات والفرق. فشملت دلالة ﴿عِزِينَ﴾ ما بين التجمع، وبين النتيجة التي هي الإعراض.

وفي تصوير تجمعهم حول الرسول صلى الله عليه وسلم بدلالة ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ ﴾ ما يبين كمال الإحاطة بالرسول صلى الله عليه وسلم. ومما يفسر ويبين قوة إقبالهم، واستماعهم للحق، وأنهم قد عقلوه، وأدركوه تمام الإدراك، ومع ذلك ينفرون ويهربون عنه، ويعادونه. فهي صورة الخائف، الذي امتلأت نظراته بالذل والهوان مع الخوف الشديد. بما يفيد تقرير نفورهم عن الحق بعد أن سمعوه وأيقنوه. فهو فرار غير طبيعي لمن أدرك الحق وعَرَفَهُ ثم يهرب منه. مما يبين أن قوة الحسد، وقوة الاستكبار تجعل من صاحبها معادٍ ومجافٍ للحق، فهو في أنفة وكُره لأن ينقاد له، بسبب الاستعلاء والاستكبار الذي قد غشاه حتى تغطى به. مما يبين خطر الاستعلاء والتكبر والحسد.

ثم يصف تبارك وتعالى حالهم فيمن نظر إليهم وأبصرهم، فقال عَزَّ وجل ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ هل يطمع كل أحد من هؤلاء الذين تجمعوا عن يمينك وعن شمالك أن يدخلوا جنات النعيم، وهم معرضون؟ سؤال استنكار وتعجب من حالهم، الذي أوصلهم إلى الطمع في دخول الجنة، وهم على هذا الحال من الكفر. مما يبين أنه قد وصل بهم العلم إلى إدراكهم ومعرفتهم بالجنة، بل إلى حد إدراكهم لنعيمها

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٧٨/٢٣)

﴿أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ فوصل الأمر مما يسمعون أن حصل في نفوسهم الطمع في دخولها ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ فهل يطمع كل واحد منهم أن يدخل الجنة؟ سؤال يفيد الاستنكار أيضاً لاعتقادهم وتفكيرهم. وهم بهذا الإعراض. فهم في حالة تناقض واضطراب بين الأمل، وبين الحسد والاستكبار.

وقد ذكر تبارك وتعالى الحنة بصفة النعيم، بما يدل على معرفتهم بتفاصيل نعيم الجنة، مما سمعوا من الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو يتلو عليهم القرآن الكريم. بأن المؤمنين يدخلون الجنة التي يتنعمون فيها نعيماً دائماً لا ينتهي أبداً. وقد أورد سبحانه وتعالى الجنة بصفة النعيم ﴿جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ التي تفيد أنها جامعة لكمال الإنعام، الذي لا ينقص ولا يزول، فهو نعيم أبدي، وسرمدي لا ينتهي. وفي إثبات النعيم ما ينتفي به جميع المكدرات. وأن هذا خاص بالمصدقين المؤمنين. وهم الذين يتبعون الرسول صلى الله عليه وسلم. فيخافون الله تعالى، ويرجون رحمته، فيبتعدون عن المعصية، ويسارعون للطاعة والامتثال، وإذا اغترفوا ذنباً سارعوا للتوبة والمغفرة.

ثم ينفي تبارك وتعالى اعتقادهم بدخول الجنة، وهم في كفرهم الذي ينافي معرفتهم بأن الله تعالى خلقهم مما يعلمون. فقال عَزَّ وجل ﴿كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ ليس الأمر كما يعتقدون ويطمعون ويتمنون بدخول جنة النعيم. وقد أفادت دلالة ﴿كَلَّآ﴾ نفي وإبطال اعتقادهم وحسبانهم ومطامعهم في دخول الجنة وهم يكفرون. ثم يقررهم الله تعالى بأن كفرهم منافي لما يعلمون من أن أصل خلقتهم من نطفة، فيقول عَزَّ وجل ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ فقد أكد كفرهم الصريح هو علمهم ويقينهم بأن الله تعالى هو الذي خلقهم مما يعلمون، بأنهم من نطفة، من مني يُمنَى. فيقررهم الله تعالى بأن كفرهم منافي لما يعلمون من الحق ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ إنا خلقناهم مما يعرفون، وهو أن ربهم سبحانه وتعالى خلقهم من نطفة، حتى تمت مراحل نموهم في بطون أمهاتهم، ثم مراحل نموهم بعد الولادة، حتى أصبحوا على ما هم عليه من الرجولة.

ثم يعظهم الله تعالى بقوة التهديد بالقسم العظيم من لدنه عَزَّ وجل. فقال تعالى ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ يقسم الله تعالى بربوبيته وخلقه للمشارق والمغارب بكمال قدرته على أن يهلكهم ويستبدلهم بغيرهم. وقد أفادت دلالة ﴿فَلَآ﴾ التي دخلت على القسم، أفادت: التعظيم للمُقسَم به، لذي هو جميع جهات الكون العظيمة. وكذلك تعظيم الذي أقسم عليه وهو كمال قدرة الله تعالى أن يبدل خيراً منهم. كما أفادت أن لله تعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته. مع تأكيد ذلك القسم بحرف التوكيد **(إنَّ)** الملتحق بضمير

المتكلم ﴿إِنَّا﴾ العائد على الله تبارك وتعالى. والذي أفاد التعظيم والتبجيل والإجلال. كما أفاد قوله تعالى ﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ أنه سبحانه وتعالى هو رَبُّ منازل الشروق والغروب، وكذلك هو رب الشمس والقمر والنجوم ومنازلها، وتحركها. وفي ذلك لفت الانتباه لها، وإلى تأملها، فإنها آيات وعبر ودلالات على قدرة ربكم جَلَّ جلاله.

كما أفاد القسم ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ شموله ﴿ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ أي: خالقها ومدبر منازلها التي تنزلها الشمس صيفاً وشتاء، وهو المدبر والقَيِّم على ذلك. وفي إفراد كل من المشارق والمغارب بالذكر للفت الانتباه لمنازل الشروق ومنازل الغروب. وعلى اعتبار أن للشروق غروباً. كما وردت بصيغة الجمع، لإفادة كثرة منازلها من جهة المشرق ومن جهة المغرب. قال السدي رحمه الله تعالى: المشارق ثلاثمائة وستون مشرقاً، والمغارب مثلها، على عدد أيام السنة[1] ففي إفرادها شد الانتباه لمنازل الشروق التي تشرق منه الشمس، ويطلع منه القمر، والغروب الذي تغرب فيها الشمس والقمر. فكل يوم تشرق الشمس من منزل من منازلها، وتغيب في منزل يتوافق مع منزل شروقها. مما يبين قدرة الخالق العظيم سبحانه وتعالى، ودقة نظامه للكون، الذي منه نظام الشروق والغروب. فسبحان الله تعالى، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، رب المشارق ورب المغارب. فمن كان هذا خلقه وهذا تدبيره العظيم في ملكه، فلا تكون العبادة إلا له وحده لا شريك له، خالصة من الشرك والرياء والسمعة، خوفاً من عقابه، ورجاء رحمته. وفي هذا البيان تذكير لهم بهذه الآيات والحجج التي تُوجِب عليهم الإيمان بربهم الذي له الكون كله، وأنه على كل شيء قدير، والإيمان بالغيب كله، ومن ذلك البعث والنشور، والحساب والجزاء، والجنة والنار.

ثم ذكر تبارك وتعالى الْمُقْسَم عليه، وهو كمال القدرة ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ التي أفادت كمال القدرة لله تعالى، ومنها استبدالهم بغيرهم. إذ قال تعالى ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ بأن نهلكهم، ونأتي بغيرهم، أفضل وأحسن منهم، فيطيعون الله ربهم، ويمتثلون للرسول صلى الله عليه وسلم. وفي هذا تهديد لهم، وتقوية لشأن الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن معه من المؤمنين. وبيان كمال قدرته عَزَّ وجل. فلسنا بمغلوبين، ولا عاجزين ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ فليس ربكم بعاجز عن أن يأتي بخلق بدلاً منكم، وأطوع وأمثل وأخير منكم. قال الزجاج رحمه الله تعالى: إن أردنا أن نخلق خلقاً غيركم، لا يسبقنا سابق، ولا يفوتنا ذلك. وقال ابن قتيبة رحمه الله تعالى: لسنا مغلوبين على أن نستبدل بكم أمثالكم[2] فقد أظهر الله تعالى

(١) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٦/٢٨٦)

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٧/٢٨٩)

كمال قدرته في الاستبدال، الذي يفيد التهديد لهم بالهلاك، وهي دعوة لهم بأن يمتثلوا لرسوله صلى الله عليه وسلم. مما يفيد حِلم الله تعالى، وعدم معاجلتهم بالهلاك، بل يعظهم، ويحذرهم. مما يفيد ويبين عظيم رحمته جَلَّ جلاله.

ولما استمر جحود المعاندين في الاستكبار، فإن الله تعالى يُوَجِّه رسوله صلى الله عليه وسلم بمتاركتهم على سبيل التهديد والوعيد لهم، بما سيكون من أمرهم وحالهم، فقال تعالى ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾ فاتركهم على عنادهم أيها الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ فَذَرْهُمْ ﴾ فلا تنشغل بباطلهم، فاتركهم ﴿ يَخُوضُواْ ﴾ أي: ينشغلوا بالباطل، بما يدور ويكون بينهم من أحاديث الباطل في مناكفة دين الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم، وكتابه القرآن العظيم. بما يفيد شدة الوعيد لهم من ربهم عَزَّ وجل.

ودلالة الخوض من قوله عَزَّ وجل ﴿ يَخُوضُواْ ﴾ هو: شامل لجميع ما يتحدثون به، ويضمرونه لدين الله تعالى، ولكتابه، ولرسوله صلى الله عليه وسلم، مما يكون منهم من الكيد والاستهزاء والسخرية. وقد جمع قوله تعالى ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ ﴾ الوصف لحالهم بأنه يدور بين الخوض واللعب، وقد عطف اللعب على الخوض ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ ﴾ فَسَمَّاه سبحانه وتعالى باللعب، لأنهم وضعوا شأن الجد فيما جاءهم من الحق موضع الاستهزاء، فإن حالهم هو حال من يلعب بالعظيم من الأمر، بما يبين ويكشف قوة طغيانهم.

فاتركهم أيها الرسول على ما فضلوه من الخوض في الباطل، واللعب والاستهزاء ﴿ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾ حتى يأتي ذلك اليوم الذي وعدناهم به من العذاب والهلاك. وهو قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾ أي: يوم القيامة، ذلك اليوم الذي يخرجون فيه من قبورهم، التي هي ﴿ ٱلْأَجْدَاثِ ﴾ ثم يبين كمال قدرته عَزَّ وجل بأنهم يخرجون من قبورهم ﴿ سِرَاعًا ﴾ بسرعة، وكأنهم في سباق ﴿ كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ ﴾ وكأنهم في سرعتهم وتوجههم إلى غاية مهمة وعظيمة ﴿ يُوفِضُونَ ﴾ يهرعون ويسرعون. قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: كأنهم إلى عَلَم قد نُصِب لهم يستبقون إليه[١] وقيل: كأنهم في إسراعهم إلى الموقف كما كانوا في الدنيا يهرولون إلى النُّصُب إذا عاينوه. فيبتدرون أيهم يستلمه أولاً. وهذا مروي عن:

---

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٨٥/٢٣)

مجاهد، ويحي بن أبي كثير، وقتادة والضحاك، وغيرهم[١] وفي هذا تهكم بما هم عليه من السرعة في الدنيا إلى أصنامهم الجوامد التي يسرعون إليها خوفاً من غضبها. فشبه حالهم عند البعث من القبور كحال خوفهم من أصنامهم. بما يكشف لهم ضعف تفكيرهم، وأن عليهم مراجعة ما هم عليه من الشرك، وقَبول الإسلام، فإنه دين الله ربهم الحق الواضح المبين.

ثم يصف اللهُ تبارك وتعالى حالهم، فيقول عَزَّ وجل ﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ أي: أن أبصارهم يوم القيامة منكسرة ذليلة، وقد ورد وصف هيئتها بدلالة الخشوع ﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ ﴾ أي: منكسرة، ومتطأطئة إلى أسفل، وقد اعتراها الخوف والمهانة والذل ﴿ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ ﴾ أي: تغشاهم المهانة. وقد أفادت دلالة الإرهاق على المبالغة فيما هم فيه من الذلة التي وصلت بهم إلى غايتها ومنتهاها.

ثم ينوه سبحانه وتعالى بهذا اليوم، تعظيماً له، وتحسيفاً لهم مما سيكونون عليه من الحسرة والندامة ذلك اليوم، فقال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ ذلك اليوم الذي سيكونون فيه، فإنه هو اليوم الذي كنا نَعِدُهُم به، ونحذرهم منه. وقد أشار إليه سبحانه وتعالى باسم الإشارة ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ تعظيماً وتهديداً لهم بذلك اليوم ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ﴾ إنه هو اليوم الذي وعدناكم به في الدنيا ﴿ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ فيكذبون به عندما كان الخيار لهم، ولكنهم جحدوه وأنكروه، مطاوعة منهم لأهوائهم، وكبريائهم. بما يفيد فلا تلوموا إلا أنفسكم ذلك اليوم، وعليكم بالطاعة فإنه خير لكم، وأحسن من مكابدة أهوال وعذاب يوم القيامة الذي تنكرونه، وذلك مطاوعة لأهوائكم المبنية على الحسد والاستكبار.

وأحمد الله تعالى وأشكره على ما أنعم به عليَّ من شرف هذا العمل، فوفقني على إتمام سورة المعارج. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتُب علينا إنك أنت التواب الرحيم. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله أجمعين.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤٥٢/٤)